جامعة القاهرة
فرع الفيوم
كلية دار العلوم
قسم الدراسات الأدبية

الشـعر وتحـولات المجتمـع في عصـر صـدر الإسـلام
دراســة فنيـة وموضـوعيـة

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب
سعيد محمد إبراهيم
بقسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم بالفيوم

إشراف

الأستاذ الدكتور
محمد حسن عبد الله
أستذ النقد الأدبي بكلية دار العلوم بالفيوم

الدكتور
سيد مصطفى السنوسي
مدرس الأدب العربي بكلية دار العلوم بالفيوم

١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢ م

الآية

إهـــــداء

إلى أبى وعمى

فى مثواهما الأخير

شكر وتقدير

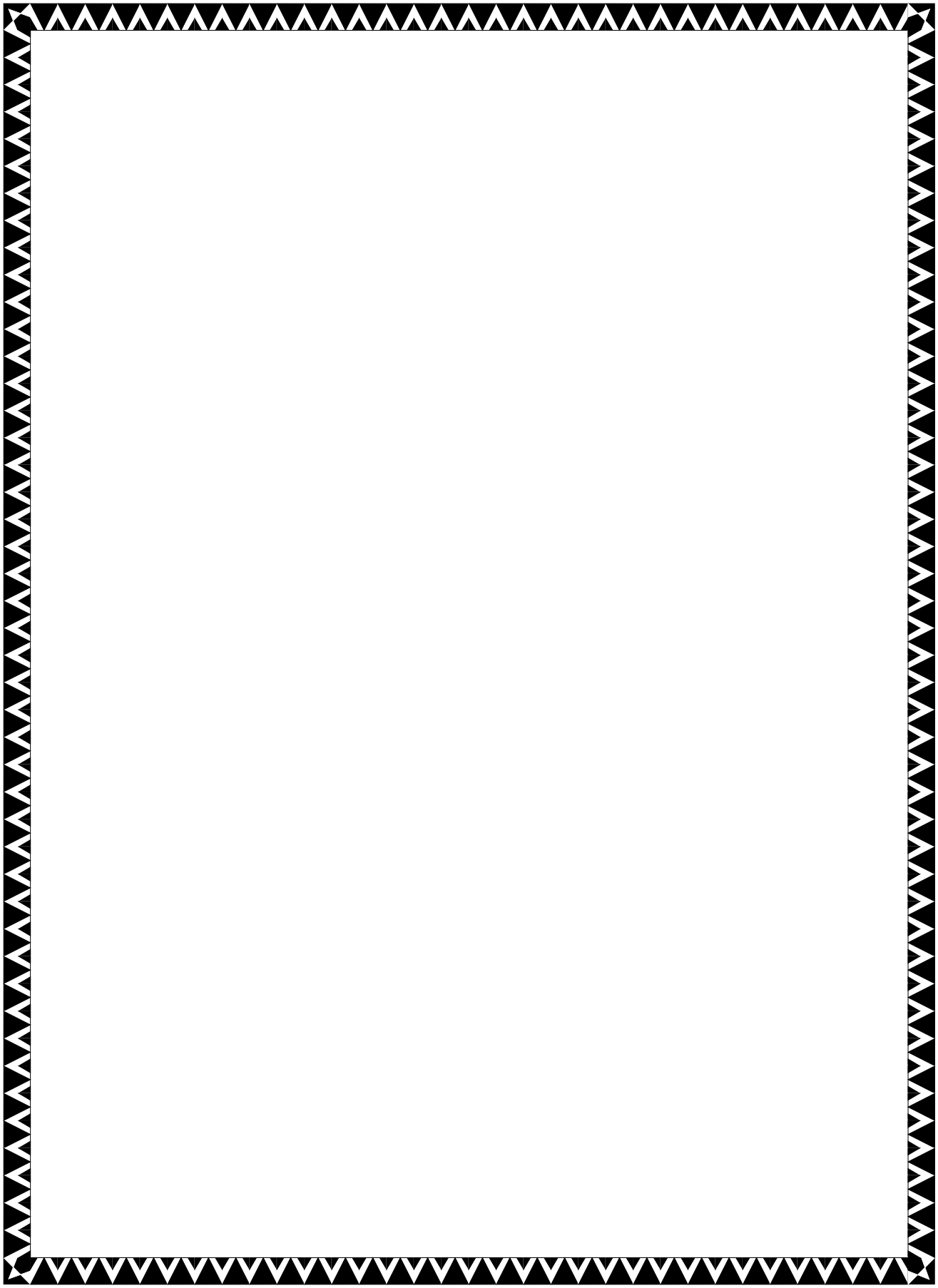

المقـــدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

أما بعد فعنوان هذا البحث هو:**(الشعر وتحولات المجتمع فى عصر صدر الإسلام: دراسة فنيـة وموضـوعية)** وهو يعنى برصد صورة المجتمع المسلم منذ تشكله فى المدينة المنورة إثر صحيفة المدينة حتى نهاية عصر الراشدين من خلال الشعر.

أولا: أسباب اختيار الموضوع

لقد دفعنى لاختيار هذا الموضوع مجموعة من الأسباب وهى:

١- أن عصر صدر الإسلام يعد مرحلة تحول هامة وخطيرة من العصر الجاهلى الوثنى إلى عصر متدين.

٢- أن عصر صدر الإسلام يعد أخطر العصور التى مر بها المجتمع العربى فهو عصر الرسالة الخالدة، وعصر تأسيس الدولة التى استمرت خمسة عشر قرناً، وستستمر – إن شاء الله- إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٣- أن عصر صدر الإسلام ملىء بالتحولات التى تغرى الباحث بمتابعة مدى اقتراب شعر الفترة من جدلياتها.

٤- أن عصر صدر الإسلام وثيق الصلة بالعصر الجاهلى؛ بما يتيح الفرصة للمقارنة بين العصرين والمجتمعين إن على مستوى البنية الاجتماعية أو الفنية.

٥- أن الدراسات التى أجريت على شعر هذه الفترة تداولت جوانب معينة من قضاياه، فى حين أن مجال البحث فيها لا يزال ثراً ومؤهلاً لمناقشته من زوايا أخرى عديدة.

٦- أن عصر صدر الإسلام يتميز بخصوصية فريدة وهى أنه يمثل مرحلة تحول سريعة عن الجاهلية، ثم هو ذاته قد تحول أيضاً تحولات سريعة.

ثانياً: منهج البحث:

أ- فى نطاق دراسة موضوع التحولات*

بما أن موضوع هذه الدراسة هو تحولات المجتمع فقد أقمت البحث على :

١- رصد تحولات الحرب والسياسة- كعنصرين أساسيين فى المجتمع- منذ عصر الرسول- صلى الله عليه وسلم- حتى وفاة على بن أبى طالب.

٢- عرض الشعر الذى يعبر عن هذه التحولات.

٣- الربط بين الشعر والتاريخ من أجل تكوين بنية للمجتمع فى كل تحول من هذه التحولات.

ب- فى نطاق الدراسة الفنية

١- تحديد مجال الدراسة الفنية التى سوف أقوم بها، وقد اخترت ثلاثة جوانب للدراسة وهى: المعجم الشعرى، الصورة الفنية، البناء الشعرى.

٢- اخترت نماذج لهذه الجوانب الثلاثة.

٣- قمت بالمقارنة بين العصر الجاهلى باعتباره الثابت وعصر صدر الإسلام باعتباره المتحول، عبر

---

*تم تقديم الدراسة الموضوعية على الدراسة الفنية طبقاً لمقتضيات البحث

هذه الجوانب الثلاثة.

ثالثاً: خطة البحث

اشتمل هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة على النحو التالى:

المقدمة: تحدثت فيها عن موضوع البحث، وأسباب اختيار الموضوع، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد: تحدثت فيه عن: (أ) معنى التحول وعلاقته بالتغير. (ب) معنى المجتمع.

(ج) تحولات المجتمع فى عصر صدر الإسلام من منظور الدراسات السابقة.

أما الفصل الأول فبعنوان: (الشعر وتحولات المجتمع فى إطار علاقته بالآخر)، وقد تناولت فيه التحولات التى مر بها المجتمع المسلم فى علاقته بالمجتمعات الأخرى، وقد قسمته إلى مبحثين:

المبحث الأول: فى عصر الرسول- صلى الله عليه وسلم-.

المبحث الثانى: فى عصر الخلفاء الراشدين.

أما الفصل الثانى فبعنوان: (الشعر وتحولات المجتمع فى إطار علاقته بالسلطة) وقد قمت فيه بنمذجه سلطة الحاكم وأشكالها منذ عصر الرسول إلى عصر على، وكيف كانت علاقة الشعر بكل نموذج من هذه النماذج.

أما الفصل الثالث فبعنوان: (الشعر وتحولات المجتمع: دراسة فنية)، وتناولت فيه أثر تحولات المجتمع على فنيات القصيدة الإسلامية، وقد قسمته لثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المعجم الشعرى، وقد تناولت فيه تطور فهم الشعراء لمفردة واحدة هى الزمن نموذجاً.

المبحث الثانى: الصورة الشعرية، وقد تناولت فيه تطور صورة المرأة لدى الشعراء نموذجاً.

المبحث الثالث: البناء الشعرى، وقد تناولت فيه تطور بناء القصيدة، ثم اخترت قصيدة من الشعر الجاهلى وأخرى من شعر المخضرمين نموذجاً

أما الفصل الرابع فبعنوان: (حسان بن ثابت وتحولات المجتمع: دراسة فى نموذج)، وقد قسمته لأربعة مباحث:

المبحث الأول: بعنوان: حسان بن ثابت وتحولات وضع القبيلة.

المبحث الثانى: بعنوان: حسان بن ثابت وتحولات السلطة.

المبحث الثالث: بعنوان: حسان بن ثابت وتحولات القيم الاجتماعية

المبحث الرابع: بعنوان: حسان بن ثابت وتحولات وضع المرأة

أما الخاتمة فقد تحدثت فيها عن أهم النتائج التى توصل البحث إليها.

أخيراً فالله أسأل أن أكون قد وفقت فى عرض المادة، فإن كان فبفضل من الله، وإن كانت الأخرى فبحسبى أننى اجتهدت، والحمد الله أولاً وأخيراً، وإلى الله تسير الأمور.

التمهيد

أ- معنى التحول

ب- معنى المجتمع

جـ - تحولات المجتمع من منظور الدراسات السابقة

التمهيـــــــــد

لا شك أن التحولات التى مرَّ بها المجتمع المسلم كثيرة ومتعددة ولا يتسع هذا البحث ولا أضعافه لتناول هذا الموضوع؛ ومن ثم كان هذا التمهيد ضرورياً لتحديد الجوانب التى سوف أقوم بدراستها، وسوف أتناول فيه– كما قدمت– معنى التحولات، ومعنى المجتمع، والتحولات التى مر بها المجتمع من منظور الدراسات السابقة، وموقع الدراسة الحالية من هذه الدراسات.

أ– معنى التحول:

يكاد مفهوم التحول أن يتطابق فى اللغة مع مفهوم التغير[١]، ويشير مصطلح التغير Change فى اللغة الإنجليزية أيضاً إلى معنى الاختلاف فى أى شىء يمكن ملاحظته فى فترة زمنية معينة[٢]

والحقيقة أن ثمة مفاهيم متعددة لهذا المصطلح الاجتماعى (تغير) تختلف بحسب المنطلقات النظرية التى تعالج ظهوره فى المجتمع[٣]، ومن هذه المفاهيم :

١– التغير: هو الاختلافات التى تطرأ على ظاهرة اجتماعية خلال فترة زمنية معينة، والتى يمكن ملاحظتها وتقديرها، وهى تحدث بفعل عوامل خارجية وداخلية مثل اكتشاف موارد الثروة، أو الهجرة، أو نشر التعليم، وهو (التغير): التغير الذى يحدث فى طبيعة البناء الاجتماعى مثل زيادة أو تناقص حجم المجتمع، أو فى النظم والأجهزة الاجتماعية، أو التغيرات اللغوية،وكذلك يشمل المصطلح التغيرات فى المعتقدات، أو المواقف، أو هو كل تحول يحدث فى النظم، والأنساق، والأجهزة الاجتماعية، سواء، كان ذلك من الناحية المورفولوجية أو الفيزيولوجية خلال فترة زمنية محددة[٤]

٢– التغير: هو تغير يعترى العمليات الاجتماعية، أو النظم الاجتماعية، أو التكوينات الاجتماعى، وقد يكون التغير تقدمياً أو تأخريا، ثابتاً أو مؤقتاً، مخططاً أو غير مخطط، موجهاً أو غير موجه، مفيداً أو ضاراً.[٥]

٣– التغير: هو كل تغير فى التنظيم الاجتماعى سواء فى تركيبه أو وظائفه.[٦]

٤– التغير هو العملية التى يتحول بها نظام المجتمع من نموذج إلى آخر.[٧]

٥– التغير: هو انتقال المجتمع من حالة يسودها التجانس إلى حالة اللاتجانس.[٨]

---

[١] ابن منظور، أبو الفضل جمل الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، دار الفكر، بيروت، د/ت، مادة ح و ل.

[2] Kundberg G. A & others: Sociology. Harper and Brol hers 3. N. Y 1936 P 675

نقلاً عن د/ فادية عمر الجولانى، التغير الاجتماعى: مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير، مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية، سنة ١٩٩٣م، ص٨

(٣) السابق، ص٨

(4)Lundberg G.and others Ibid P. 670

نقلاً عن د/ فادية الجولانى، مرجع سابق، ص١٠

(5)Fairchild: Dictionary of socilogy related sciences little field, Adam's & New york 1959 P 277.

نقلاًعن د/فادية الجولانى، مرجع سابق، ص١٣

(6)Kingsly Daris, Human society Macmillon Co, New York 1950, P 622.

نقلاً عن د/ فادية الجولانى ص١٣

(٧) مالينوفسكى، نقلاً عن د/فادية الجولانى، مرجع سابق، ص١٣.

(٨) هربرت سبنسر، نقلاً عن، فادية الجولانى، مرجع سابق، ص١٣، وثمة تعريفات أخرى كثيرة للتغير أوردتها الباحثة فى الفصل الأول من كتابها (التغير الاجتماعى) ص١٤ وما بعدها.

ويستفاد من هذه التعريفات مجموعة من الأمور هى:

١- ارتباط مفهوم التغير بمفهوم التحول (التعريف الأول).

٢- ارتباط مصطلح التغير بمصطلحات اجتماعية أخرى مثل التقدم، والنمو، والتطور (التعريف الثانى).[٩]

٣- ارتباط فكرة التغير بالبناء الاجتماعى والنظم الاجتماعية (التعريفات جميعها) حيث يفرق علماء الاجتماع بين التغير الثقافى والتغير الاجتماعى على اعتبار أن التغير الثقافى يشير إلى التغير فى العادات والتقاليد والقيم، بينما يشير التغير الاجتماعى إلى التغير فى البناء الاجتماعى (عناصر السكان وطبيعة الطبقات مثلاً) والتغير فى النظم (المؤسسات الاجتماعية، وطبيعة، العلاقات الاجتماعية).[١٠]

٤- ارتباط فكرة التغير بالتاريخ (التعريف الأول والثالث والرابع والخامس) بمعنى أن تغير المجتمع يفسر على اعتبار المجتمع الذى قبله[١١]، ولعل هذا ما يفسر أن جميع النظريات التى ناقشت التغير الاجتماعى قد اتجهت إلى استفسار التاريخ، وتعاملت مع المدنيات، أى مع كل المجتمعات، وكل النظم الثقافية الاجتماعية على أسس مقارنة[١٢]

وإذا كان لنا أن نختار تعريفاً للتغير الاجتماعى، يعبر عن رؤيتنا للتحولات التى حدثت خلال عصر صدر الإسلام، والتى يعتبرها البحث الحالى إشكاليته الأولى؛ فإننا سوف نختار التعريف الذى أوردته الدكتورة فادية الجولانى، والذى يعبر عن وجهة نظرها- ووجهة نظرنا كذلك- فى مسألة التغير/ التحول، تقول الباحثة:

"إن التغير الذى نهتم بدراسته ليس التغير العادى الرتيب، الذى لا ينبثق عنه انتقالات حضارية، ولكنه التغير الذى يظهر كشىء غير مألوف، والذى يؤدى إلى ظهور أنماط جديدة، تترتب عليها نتائج نفسية واجتماعية عميقة"[١٣].

تؤكد الباحثة – فى تعريفها إذن على أن منهج الدراسة ينبغى أن يكون انتقائياً، وله آثاره المختلفة، خاصة وقد أوضحت فى مقدمة الكتاب إلى أن ثمة تغيرات تحدث كل يوم، ولكنها تفتقد للقيمة، وإن كانت دالة على تيقن الإنسان ووعيه بطبيعة التحول من حيث هو حقيقة مشاهدة كل يوم[١٤]، وكما يقول الدكتور محمد فؤاد حجازى فإن بعض علماء الاجتماع اعتبروا أن التغير الذى يستحق الاهتمام والدراسة، هو التغير الذى يطرأ على ذلك الكل المركب الذى يسمى بالبناء الاجتماعى، ومن ثم سميت هذه الدراسة بالتغير... وهى دراسة للعلاقات

---

(٩) ثمة فروق جوهرية بين هذه المصطلحات، التى شاع الخلط بينها فترة طويلة، انظر فى هذه الفروق: بوتومور، تمهيد فى علم الاجتماع، ترجمة د/ محمد الجوهرى وآخرين، دار المعارف، القاهرة،سنة ١٩٨٠ ط٤، ص٣٣٤- ص٣٣٦ حيث يشير إلى أن هذه المصطلحات جميعها قد عدل عنها إلى استخدام مصطلح التغير، المرجع سابق، ص٣٤١ وانظر فى نفس هذه الفكرة د/ فادية الجولانى، مرجع سابق، ص٣٠ – ص٦٨ حيث مناقشة طويلة لهذه المصطلحات من منظور الوظيفية البنائية، وانظر كذلك د/ محمد فؤاد حجازى، التغير الاجتماعى، مكتبة وهبة، القاهرة، سنة ١٩٧٨، ص٢١ الصفحات ٨٠- ٨٢، ٨٦، ٩٢، وانظر كذلك ص١٣١ فى الفرق بين مصطلح التغير والتخطيط الاجتماعيين حيث يشير مصطلح تخطيط إلى توظيف عملية التغير إلى الأفضل، وثمة فروق كبيرة بين مصطلحى التغير الاجتماعى والتغير الثقافى، المرجع السابق، ص١٣٢، وانظر كذلك ص٩٧، حيث نقد لفكرة التطور الاجتماعى، المرجع نفسه.

(١٠) انظر فى العلاقة بين المصطلحين، د/ محمد فؤاد حجازى، مرجع سابق، ص١٣، وانظر مناقشة مستفيضة لجدلية العلاقة بين المجتمع كبناء وتنظيم، والثقافة كأشكال للعلاقات أو قواعد العرف والتقاليد فى الصفحات ١٣٢- ١٣٤، المرجع نفسه.

(١١) انظر، د/ فادية الجولانى، مرجع سابق، ص٣.

(١٢) د/ محمد فؤاد حجازى، مرجع سابق، ص١٢. وانظر فى استنطاق علماء الاجتماع للتاريخ، بوتومور، مرجع سابق، ص٣٣٣.

(١٣) د/ فادية الجولانى، مرجع سابق، ص٢٠.

(١٤) السابق، ص٣.

الاجتماعية الدائمة، التى تقوم بين أعضاء المجتمع، وما يطرأ عليها من تغير، بصرف النظر عن تفاصيل التغيرات الثقافية التى يتضمنها سلوك الناس؛ ومن ثم فلا تقتصر دراسة التغير على دراسة التغير فى عناصر الثقافة التى يتضمنها سلوك الناس، وسماتها ومكوناتها، وإنما عليهم اكتشاف التغير فى العلاقات الاجتماعية[١٥]

ويستفيض الباحث فى سرد خصائص هؤلاء العلماء، والذين يتضح من خلال الحديث عنهم أنهم أنصار النظرية البنيوية فى معالجة التغير، فيقول: إنهم يعتبرون التغير البنائى هو الذى لا يقتصر على نمط واحد من أنماط السلوك والنشاط والعلاقات الاجتماعية، وإنما هو يشمل بشكل أو بآخر كل الأنماط السائدة فى المجتمع"، ومن ثم فهو يؤكد على الدراسة الانتقائية لديهم والتى أكدت عليها الباحثة السابقة، فيقول: " ومن ثم فالتغير الاجتماعى الذى يحدث فى نظام من النظم الاجتماعية ولا يؤدى إلى انعكاسات طفيفة فى النظم الأخرى، أو تغير من نظام لآخر، ولا يؤدى، ولا يؤثر إلا فى النظام المنتمى إليه، ولا تمتد آثاره إلى النظم الأخرى، كل هذه التغيرات لا تسمى تغيرات بنائية" ويؤكد على التفرقة بين مصطلحى التغير الاجتماعى والتغير الثقافى، فيقول: "وإذا كان البنائيون عندما يتحدثون عن التغير البنائى فإنهم يتعاملون مع النظم الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية؛ ومن ثم فإنهم يقولون إنهم يتحدثون عن التغير الاجتماعى، وهم فى ذلك يبغون إبراز الفروق بين دراستهم، ودراسات التغير الثقافي"[١٦]

ولعل السؤال الذى يتطلب الإجابة عليه أن يكون لم لم تختر هذه الدراسة مصطلح التغير بدلاً من التحول؟ الحقيقة أنه على الرغم من الارتباط الشديد بين مصطلح التغير وتعبير التحول، إلا أن ثمة فرقاً جوهرياً يعكس رؤية الباحث لخصوصية الموضوع وهو أن التغير يشير إلى الأحداث طويلة المدى بينما يشير التحول – من وجهة نظرى الخاصة– إلى الأحداث قصيرة المدى، فظهور الإسلام – مثلاً– يعد تغيراً اجتماعياً فى حين أن غزوة الخندق تعد تحولاً عما سبقها من أحداث.

بناءً على ما سبق، ومن خلال التعريفات التى أوردناها للتغير، ومن خلال التعقيبات عليها، ومن خلال التعريفين المعبرين عن رؤيتنا للتغير، نستطيع أن نطرح منهجنا فى البحث، لكننا سنرجئ الحديث عن هذه الأطروحة ريثما نورد بإيجاز النظريات التى تعرضت لتفسير التغير الاجتماعى، ثم بيان معنى المجتمع ذاته.

نظريات التغير/ التحول الاجتماعى:

ثمة نظريات عديدة قامت بتفسير التغير، ووضع نظريات لتنميطه وتأطيره، والحقيقة أن هناك أكثر من طريقة لتصنيف هذه النظريات، لكنه من الأفضل أن نبدأ بالتمييز الأولى بين النظريات الخطية Liner وهى تلك التى تقول بسير حركة المجتمع فى خط واحد، والنظريات الدائرية Cyclical والتى تقول بسير تلك الحركة فى اتجاه دائرى، وقد تدور العجلة مرة واحد، أو تتعدد الدورات[١٧] وسوف نوجزها على النحو التالى:

أولاً النظريات الخطية

١– نظرية كونت وقد صاغها فى قانون المراحل الثلاث بأنها الارتقاء من أساليب الفكر اللاهوتى الدينى إلى

---

(١٥) د/ محمد فواد حجازى، مرجع سابق، ص١٢

(١٦) السابق، ص١٣.

(١٧) بوتومور، مرجع سابق، ص٣٤٣.

الأسلوب الميتافريقى إلى الأسلوب العلمى، الذى يمثله العلم الحديث، وخاصة السيطرة التدريجية لنزعات الغيرية على الأنسانية[١٨].

٢- نظرية سبنسر: وهو يرى أن هناك انتقالاً شاملاً من حالة تجانس مطلق وغير مستقر إلى حالة لا تجانس محدد ومستقر، وذلك على أساس تزايد التباين الوظيفى داخل المجتمعات، وكذلك نمو حجم المجتمعات[١٩]، فالأمور تتكامل أولاً ثم بعد ذلك هناك تفرق للأجزاء.. التى تصبح أكثر ملائمة لواجباتها[٢٠].

٣- نظرية هبهوس: وهو يرى أن ثمة خمس مراحل فى التاريخ الفكرى للبشرية وهذه المراحل هى:

أ- مرحلة البدايات الأولى للتفكير السليم فى مجتمعات ما قبل القراءة والكتابة.

ب- العلم البدائى فى الشرق القديم (كما فى بابل والصين القديمة).

جـ- مرحلة التأمل فى الشرق التالية على ذلك، ابتداءً من القرن الخامس قبل الميلاد.

د- مرحلة التفكير النقدى والمنهجى من القرن الخامس عشر تقريباً.

هـ- نمو التفكير العلمى الحديث ابتداءً من القرن السادس عشر تقريباً[٢١]

٤- نظرية ماركس: وترى النظرية- باختصار- أنه يقابل كل مرحلة من مراحل تطور القوى المنتجة أسلوب معين فى الإنتاج، ونسق معين تعمل الطبقة المسيطرة على تثبيته للعلاقات الطبقية وتدعيمه، غير أن التطور المستمر فى القوى المنتجة يغير فى العلاقات بين الطبقات، وكذلك فى ظروف الصراع الدائر بينها، وفى الوقت المناسب تصبح الطبقة التى كانت مسودة فى ذلك الحين قادرة على الإطاحة بأسلوب الإنتاج القائم، وبنسق العلاقات الاجتماعية، وعلى إقامة نسق جديد ومن الواضح اعتماد ماركس على التاريخ[٢٢]، وعلى الصراع الطبقى[٢٣] حيث كانت أول فقرة فى البيان الشيوعى تقول: إن تاريخ كل مجتمع إلى يومنا هذا لم يكن سوى صراع بين الطبقات[٢٤].

ثانياً النظريات الدائرية

تصور هذه النظريات نواحى أخرى من التاريخ الإنسانى، وهى ترى – كما أشرنا- أن المجتمع يسير فى اتجاه دائرى ومن هذه النظريات:

١- نظرية باريتو: يرى باريتو أن التغير الاجتماعى ينشأ نتيجة للصراع بين الجماعات من أجل الحصول على

---

(١٨) السابق، ص٣٤٣، وانظر كذلك تفرقة كونت بين علمى الاستاتيك سوسيال، والدينامك سوسيال حيث يقوم الأول على دراسة العناصر الاجتماعية ووظائفها، فى حين يقوم الثانى على دراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلى للمجتمعات الإنسانية د/ محمد فؤاد حجازى، ص٢٧.

(١٩) بوتومور، مرجع سابق، ص٣٤٤.

(٢٠) د/ محمد فؤاد حجازى، مرجع سابق، ص٢٩، وانظر كذلك ص٧٢و ص٧٣ حيث توصيف لمحاولة سبنسر القائمة على فكرة التطور الدارونية.

(٢١) بوتومور، مرجع سابق، ص٤٤. وانظر كذلك د/ محمد فؤاد حجازى، مرجع سابق، ص٣٠، ص٣١

(٢٢) بوتومور، مرجع سابق، ص٣٤٥

(٢٣) د/ فادية الجولانى، مرجع سابق، ص٧٧ وانظر فى النظرية الماركسية د/ محمد فؤاد حجازى ص١١، وفى اعتماد ماركس على نظرية هيجل التى فسرت التغير بناءً على أسس مجردة، السابق، ص٣٥

(٢٤) بيان الحزب الشيوعى، دار التقدم، موسكو، سنة ١٩٦٨. نقلاً عن د/ محمد فؤاد حجازى، مرجع سابق، ص٣٨ وانظر فى أسس الماركسية إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة د/ محمد حسين غلوم، مراجعة د/ محمد عصفور، سلسلة عالم الفكر، ع ٢٤٤، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، الكويت، أبريل سنة ١٩٩٩، ص٢٢٢، وانظر نقداً للنظرية، ص٢٢٣، السابق نفسه، وانظر كذلك ص ٢٥٣ حيث تبرير الماركسية النفسى للذات الجمعية أو موت الذات كما أسماها المؤلف.

القوة السياسية، وأن هناك فترات متعاقبة من الحكم على يد طبقة الصفوة القوية المنتصرة، ثم فترة حكم إنسانى معتدل على يد طبقة الصفوة الآخذة فى التدهور[٢٥].

٢- نظرية سوركين: يميز سوركين بين ثلاثة أنماط ثقافية عامة: التماثلى، المثالى، الحسى، ويرى أن هذه الأنماط تتابع الواحد بعد الآخر على شكل دورات فى تاريخ المجتمعات[٢٦].

٣- نظرية توينبى يرى توينبى أن الحضارات المختلفة رغم أنها بالتأكيد كيانات فردية مستقلة إلا أنها جميعاً ممثلة لنوع واحد من المخلوقات، وتقوم بمهمة واحدة ... وهى النقل لكشف دينى تقدمى أقصى غايته الاتحاد مع الله[٢٧]

وترى الدكتورة فادية الجولانى أن الاتجاه الدورى فى تطور المجتمعات الإنسانية فد بزغ على يد المؤرخ العربى ابن خلدون فى القرن الرابع عشر، ذلك المؤرخ الذى يقدم لنا- كما يقول جهمان W– Ghman المعنى الحقيقى للتاريخ؛ بفضل التفسير الدقيق لأسباب وأصول وجود الأشياء، وكيفية نشأة الأمم والحضارات، وكل ما يتعلق بأسباب التغير والتنوع فى الفترات الماضية فى داخل الجماعات نفسها[٢٨].

ولقد شبه ابن خلدون- فى أثناء تفسيره للتغير- شبه المجتمع بالكائن الحى، فكما أن الكائن الحى يولد ضعيفاً ثم يترعرع، وينمو، ويصبح شاباً، ثم شيخاً، ثم ينتهى بالموت، كذلك تنشأ الحضارة ضعيفة ثم تنمو فتدخل مرحلة التكوين، إلى مرحلة الازدهار، وتنحدر إلى مرحلة الضعف، فالسقوط فالفناء[٢٩].

وبالإضافة إلى تمييز بوتومور السابق بين نوعين من النظريات الاجتماعية التى فسرت التغير ترى الباحثة أن نظريات التغير يمكن تصنيفها إلى الاتجاهات التالية:

١- الاتجاهات الحتمية للتغير، وتتمثل هذه الحتمية فى أشكال هى:

أ- الحتمية الاقتصادية: ويمثلها كارل ماركس بوضوح.

ب- الحتمية التكنولوجية: وهى المعنية بإسناد الظاهرة الاجتماعية إلى أعمال فنية، تلعب دوراً متفوقاً بالآلآت والاختراعات ويمثلها عالم الاجتماع الأمريكى أوجبرن.

جـ- الحتمية السيكولوجية: وقد ذهبت إلى إبراز دور العامل النفسى ويمثلها لستر وارد

د- الحتمية الايديولوجية: وتقوم على رفض التفسير المادى للتغير، وتعزوه إلى الجوانب اللامادية للحضارة، ومن أنصاره عالم الاجتماع الروسى إيجين دى روبرتى.

هـ- الحتمية الاجتماعية: وهى تؤكد أن التغير الاجتماعى يحدث دون أن يكون للإنسان دخل فى هذه الأحوال، ومن أنصاره كلٌ من: لستر وارد، وهوبهوس، وماكس فيبر.

٢- الاتجاه الدورى: وقد سبق أن عرضنا لتفسيراته.

---

(٢٥) بوتومور، مرجع سابق، ص٣٤٦

(٢٦) السابق، ص٣٤٧ و د/ محمد فؤاد حجازى، مرجع سابق، ص٧٥ وانظر كذلك د/ فادية الجولانى فى شرح هذه النظرية، ص٩٤- ص٩٥

(٢٧) بوتومور، مرجع سابق، ص٣٤٧

(٢٨) د/ فادية الجولانى، مرجع سابق، ص٩٣.

(٢٩) ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون وهى الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، تحقيق حجر عاصى، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٢٣٥.

٣- الاتجاه التلقائى: ويمثله كل سمنر، وكلير، وترى أن التغير يحدث بشكل لا إرادى.
٤- الاتجاه الغائى: ويمثله كونج، وشارلز الوود، وترى أن المجتمع يسير نحو غاية محددة قد تكون السعادة، أو الحرية أو التقدم، أو غيرها.
٥- الاتجاه الانتشارى: وهو يقوم على فكرة مؤداها أن التغير يمكن تحقيقه من خلال نقل العناصر السائدة فى المجتمعات المتقدمة إلى المجتمعات النامية، ويمثلها كل منك إليوت سميث، وبير[٣٠].

كما تميز الباحثة بين الاتجاهات السابقة والاتجاهات الحديثة للتغير، وتتمثل هذه الاتجاهات فى:

الحركات الاجتماعية كمصدر للتغير، وتضم هذه الحركات ثلاثة أشكال هى:

أ- الحركات الإصلاحية ب- الحركات الثورية

جـ- الحركات التعبيرية

ويعتبر هربرت بلومر من أبرز من عبروا عن هذه النظرية.

٢- التسبيب الدائرى المتراكم للتغير: وهى ترى أن جوهر أية مشكلة اجتماعية يكمن فى العمليات الدائرية التراكمية على أساس تحليلى للعلاقات التسبيبية المتبادلة فى داخل الاتجاه ذاته، ويعتبر جنار ميردال من أبرز ممثلى هذا الاتجاه[٣١]

كما تعرض الباحثة بالتفصيل للنظرية الوظيفية فى دارسة التغير الاجتماعى، وتبدؤها بعرض النظرية البنائية فى تفسير التغير والتى تعرف التغير البنائى بأنه: ذلك النوع من التغير الذى يستلزم أدواراً وتنظيمات اجتماعية جديدة تختلف اختلافاً نوعياً عن الأدوار والتنظيمات القائمة فى المجتمع ويقتضى هذا النوع من التغير حدوث تحول كبير فى الظواهر والعلاقات السائدة فى المجتمع.

كما تعرضت الباحثة للنظرية الوظيفية كأحد أفرع النظرية البنائية والتى رأت أن الوظائف التى يقوم بها نظام معين يأتى عليها وقت تنتشر بين نظم أخرى متباينه، وكذا فإن شكلاً من التوازن الاجتماعى يحل محل شكل آخر أكثر تعقيداً، وإلى أن يتم هذا الحلول من المتوقع أن يمر النظام بمرحلة من التوتر والاضطراب، ومن أنصار هذا الاتجاه كل من: ألبون سمول، وارد كليف براون، وما لينوفسكى... وغيرهم[٣٢]

ولقد أفرخت هاتان النظريتان نظرية جديدة هى نظرية الوظيفية البنائية، وهى نظرية تقوم على فكرتى التكامل والثبات، وهى تهتم بدراسة العلاقات القائمة داخل أجزاء البناء الاجتماعى، ويرى هذا الاتجاه أن تحليل أية ظاهرة اجتماعية يعتبر جزءاً من دراسة النظام القائم المستمر، ولايتأتى ذلك إلا من خلال تحليل المجتمع كنسق متساندة متغيراته وظيفياً .

ومن أبرز أتباع هذا الاتجاه كل من تالكوت بارسونز، وكنجزلى دافيز، وروبرت ميرتون، وجورج هامنز وغيرهم[٣٣]

(ب) معنى المجتمع

---

(٣٠) د/ فادية الجولانى، مرجع سابق، ص٨٣- ص١٠٠

(٣١) راجع د/ فادية الجولانى، ص١٠٦- ص١١٤ حيث شرح تفصيلى للنظرية

(٣٢) السابق، ص١٣٩.

(٣٣) السابق، ص١٤٤- ص١٤٦. وانظر فى آراء هذه النظرية، إيان كريب، مرجع سابق، ص٦٥ وما بعدها.

يشيرمصطلح المجتمع Society فى الدراسة الاجتماعية إلى عدة مفاهيم منها:

١- النوع البشرى ككل أو ظاهرة التجمع الإنسانى.

٢- مجموع العلاقات الاجتماعية بين الناس.

٣- كل تجمع للكائنات الإنسانية من الجنسين، ومن كل المستويات العمرية، يرتبطون معاً داخل جماعة اجتماعية لها كيانها الذاتى ونظمها وثقافتها المتميزة.

٤- النظم والثقافة التى تتحقق عند جماعة من الناس[٣٤]

٥- تجمع من الأفراد يستمد طبيعة جمعية من طبيعة الإنسان.

٦- وحدة كلية متميزة تفوق الوجود الفردى.

وهكذا فإن ثمة مفاهيم متعددة ومختلفة للمصطلح اختلافاً ينطوى على وجهة النظر التى ينظر من خلالها إلى المجتمع، والمبدأ الذى تراه نظرية ما فى تفسيرها للمجتمع ذاته، ومع ذلك فإن هذه الفكرة (الخلاف على طبيعة المجتمع) أضحت من الأفكار التى تأخذ حيزاً فى النظرية الاجتماعية، وتتجلى بصور عدة [٣٥].

فالحقيقة أن ثمة غموضاً ما فى المصطلح يعبر عنه بجلاء بول روك بقوله: "إن طبيعة المجتمع لا تستقيم مع العقل بوجه عام، وقد نستخدم تعريفات فضفاضة نتكىء عليها لتوجيه التحليل، لكن افتراض إمكانية رسم صورة لأنساق كبيرة من أنساق المجتمع أمر مضلل، بل إنه ليس من العقل فى شىء افتراض أن المجتمع منظم هو وبناه، ولو كان كذلك لأمكن معرفته هو وما فيه من بنى، بتحليل يستند فقط على تخمينات قبلية هى موضوع شك دائم، أو عن طريق مركب يستند على فهم قبلى، وهو لا يعتبر من العلم فى شىء. ولهذا يتردد عالم الاجتماع فى الكتابة عن المجتمع بصفته موضوعاً قابلاً للتحليل على الإطلاق، وحينما يفعل ذلك فإنه قد لا يفعل أكثر من تصويره على هيئة كتلة هلامية من عمليات التبادل غير المستقرة[٣٦].

ولعل هذه الفكرة هى التى دعت إيان كريب فى رصده لنظريات أخرى إلى إنكار شىء اسمه المجتمع بوصفه شيئاً موجوداً بالفعل[٣٧].

وعلى الرغم من ذلك فإن جدنز يحاول أن ينقذ ما يمكن إنقاذه من فكرة المجتمع، بيد أنه يصر من ناحية أخرى على أن المجتمع ينتجه ويعيد إنتاجه فعل البشر[٣٨]

ولأهمية مصطلح المجتمع فى بحثنا الحالى، ولتوضيح حدود الدراسة فإننا سوف نختار – إن كان لنا أن نختار – تعريفاً للمجتمع، يتفق ووجهة نظرنا فى دراسته، يقول هذا التعريف:

المجتمع: هو جماعة من الناس لهم ثقافة مشتركة ومتميزة تحتل حيزاً إقليمياً محدداً، وتتمتع بشعور الوحدة، وتنظر إلى ذاتها ككيان متميز، ويشبه المجتمع كل المجتمعات الأخرى فى اشتماله، على بناء من أدوار مترابطة وسلوك محدد تفرضه المعايير الاجتماعية، ومع ذلك فالمجتمع يعتبر نموذجاً خاصاً لجماعة تتميز بنسق

---

(٣٤) نخبة من أساتذة علم الاجتماع، المرجع فى مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د/ ت، ص٤٥١- ص٤٥٢.

(٣٥) إيان كريب، مرجع سابق، ١٢.

(٣٦) نقلاً عن إيان كريب، مرجع سابق، ص١٣٩.

(٣٧) السابق، ص١١٢، ص١٣٩، ص١٩٣.

(٣٨) السابق، ص١٧٠